الفصل الثالث

فتن .. في الطريق ..

على الطريق الى اقامة شريعة الله تثور فتن .. فتن كقطع الليل المظلم ..

فتنة الفكر ..
فتنة النفس ..
فتنة المرأة ..

ونحاول باذن الله .. أن نجلى بعضا من هذه الفتن .. علنا نتقيها أو نداويها ..

* * *

١ ـ فتنة الفكر

الفكر .. أصلا نعمة .. يميز بها الانسان على الحيوان .. لكنها قد تنقلب فتنة .. اما من خارج .. واما من داخل ..

وأما فتنة الخارج .. فان المسلم يغدو فيها ضحية .. ضحية التعليم والاعلام .. وهو ما حدث بالنسبة لكثيرين أرسلوا الى بعثات فافتتنوا بفكر الغرب أو الشرق .. وعادوا بغير العقول التى ذهبوا بها !

هـذا مثل واقعى بدأ من أواخر القرن التاسع عشر واستمر خلال القرن العشرين ، وأول افتتان ـ فيما أحسب ـ كان بفرنسا .. ثم صار الى انجلترا وأخيرا انتقل الى أمريكا .. وقد يكون مجرد وجود الانسان فى مجتمع .. عامل لتأثره به لأن الفرد يتأثر بالمجموع ، خاصة اذا كان فى ذهن الفرد مسبقا أن ذلك المجتمع أكثر تقدما من مجتمعه ومن ثم فانه يتقبل كثيرا من الأمور باعتبارها الأفضل والأحسن ، أو هى بتعبير علامة الاجتماع ابن خلدون : نظرة المغلوب للغالب .

لكننا لا نستطيع أن نبرىء الغرب المتعصب .. من التخطيط .. التخطيط للغزو الفكرى . لأنه أول الغزو . وأدوم الغزو وهو ما صرح به بعض كتابه .

قد لا يقتضى الأمر الانتقال الى المجتمع الخارجى ليتغير فكره ، إن التقدم الهائل فى وسائل الاعلام جعل الغزو الفكرى ممكنا . ومن على الأرض الخارجية نفسها .. بالكلمة والصورة .. تنقل فى الصحيفة والمجلة ، والكتاب ، وتنقل عبر الأثير لنسمعها من المذياع أو لنراها على الشاشة الصغيرة ، وأخيرا تنقل خلال عقل ذلك الأستاذ الذى درس وحصل على أعلى الشهادات من الخارج ، وعاد يتعالى بعلمه ويغزو به عقول الناشئة والشباب !! وكل ذلك حدث .

وحدث حربا .. على الاسلام .. ومبادئه .. وأخلاقه .. وشعائره .. وتشريعاته !! ..

لكن الفتنة قد تكون من داخل .. من داخل فكر المسلم نفسه .. حين يصل الى مرحلة يفتتن بها فكره ، ويعجب فيها برأيه .. فلا يرى من خلال عقله .. الا عقله !

وقديما كان أول ضلال فرعون .. فكره .. حين ظن أنه ألا يعلو فكر على فكره .. ومن ثم فلم يأذن أن يعلو صوت على صوته .. وكان قوله لقومه : **« ما أريكم الا ما أرى وما اهديكم الا سبيل الرشاد »**(١) .

ومن هنا . رأى من خلال فكره المريض .. أن موسى مفسد فى الأرض ، وطبعا سيادته هو المصلح ، ومن هنا نادى فى قومه : **« وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه ، انى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد »**(٢) ، ومن هنا يكون التكبر على الحق .. ويكون منطق كل مفسد فى الأرض : **« واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا انما نحن مصلحون »**(٣) .

وقد يعتقد المفسدون أنهم مصلحون — ولكنهم كذلك يعلمون — **« ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام . واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث**

---

(١) غافر : ٢٩ (٢) غافر : ٢٦

(٣) البقرة : ١١

والنسل ، والله لا يحب الفســاد . واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم ، فحسبه جهنم ، ولبئس المهاد »(٤) .

وضلال « العلماء » كثير : **« واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الأرض واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث »**(٥) .

وفى الطريق لاقامة شريعة الله .. سيكون من « عبيد » الفكر الخارجى أو « عباد » فكرهم الداخلى .. سيكون منهم عقبات وقد خاف علينا رسول الله صلى الله عليــه وسلم من بين ما خاف « اعجاب كل ذى رأى برأيه » .

وعبيد الفكر أو عباده .. لن يقفوا أمام الحق ساكتين أو ساكنين سيحاولون أن يخرسوا صوت الحق ، وسوف يستعدون عليــه غيرهم من رجال السلطة !!!

ولسوف يصورون الأمر لهؤلاء السادة أن النور القادم نهايــة ليلهم .

ومع ذلك ، ورغم ذلك .. فعلى الداعين الى الحق . أن يمسكوا زمام المبادرة .. وأن يحاولوا تأليف قلوب هؤلاء أو أولئك ..

فان لم يستطيعوا استمالتهم .. فعليهم أن يحاولوا « تحييدهم » .. والا .. فقد : **« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير »**(٦) .

* * *

٢ ــ فتنــة النفس

وفتنة النفس لعينة !

لأنه كما قال القائل : « أشد أعدائك نفسك التى بين جنبيك ان قدرت عليها فأنت على غيرها أقدر » ..

ومن قبله قال رب الناس : **« ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى »**(٧) .

---

(٤) البقرة : ٢٠٤ ــ ٢٠٦ (٥) الأعراف : ١٧٥ ، ١٧٦
(٦) الحج : ٣٩ (٧) يوسف : ٥٣

وهوى النفس على النفس شديد .. يميل بها هنا وهناك .. ليبعدها عن الصراط المستقيم ، وما تزال النفس تميل مع الهوى حتى يصير الهوى لها الهـا ، وتصير النفس له عبدا ، ويحق فيها قول الله سبحانه : **« أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضلـه الله على عـلم وختـم على سـمعه وقلبه وجعل على بصره غشـاوة فمن يهديـه من بعد الله »**(٨) ؟ !

وهوى النفس • قد يكون للمال • فيصير الانسان له عبدا : « تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار » .. ومعه طبعا عبد « الريال » ، وعبد « الدولار » ، وقد يكون امرأة فيصير لها كذلك عبدا .. حتى لقد نطق بها شاعرهم : « لا تنادونى الا بيا عبدها فانه أشرف أسمائى » •

وقد يكون وهو الأخطر « جاها وحكما » ، فيعبد « الحكم » ويصير له عبدا ، وان بدا أمام الناس السيد المسود ولا يزال يذود عن الهه الذى عبده .. من يقترب منه أو يقع فى ظنه أنه يقترب منه .. ويغرق فى عبوديته « للحكم » حتى ليتصرف مع خصومه وأنصاره تصرف الغريق .. كلما امتدت له يد لانقاذه ظنها يد تغرقه فجذبها الى الغرق هى الأخرى .. وان أمسك بها لم يفلتها •

هذا الصنف من العبيد سيظل حكم الشريعة .. يد تغرقه .. لا يد تنقذه .. فربما فعل بها أو حاول ما يفعل الغرقى •

فتلك فتن فى الطريق •

ومعهم فتنة العابدين لأنفسهم ممن يحتلون بعض مراكز العلماء .. هؤلاء كذلك سوف يدفعون عن مجدهم .. الذى عاشوا فيه يأكلون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا ، ويكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا ، ويلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون !

هـذه كذلك • أحجار .. فى الطريق !

ومع هؤلاء .. ففى نفوس المجاهدين أنفسهم فتن •

فتنة طول الطريق ومشقته .. ونفاد الصبر مع الكم والكيف .. واستعجال النهاية واستبطاء النصر ..

ثم فتنة النصر اذا لاح ، والخلاف على الأسلاب والغنائم .. وفتنة الصبر على النصر .. أشد من فتنة انتظار النصر ، وفى المجال

---

(٨) الجاثية : ٢٣

الخاص ضرب الله لنا مثلا .. فقال : « **ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون** »[٩] .

وفى المجال العام .. لنا أكثر من مثل : « **ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين** »[١٠] .

« **ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه ، حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيـا ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ، ولقد عفا عنكم ، والله ذو فضل على المؤمنين . اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم فأثابكم غما بغم لكيـلا تحزنـوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم ، والله خبير بما تعملون** »[١١] .

وقصة أحد يعرفها الجميع ، ويعرفون أن الرسول صلى الله عليـه وسلم أمر فريقا من المسلمين بالمرابطة على جبل أحد ، لكنهم حين رأوا الغنائم بعد أن هزم المشركون أول الأمر : تركوا أماكنهم واندفعوا اليها . فعاجلهم الكفار من خلفهم ، وكان .. ما كان .. وثبت الرسول صلى الله عليـه وسلم فى موقعه . ونادى المسلمين .. وقد كر عليهم الكفار : « أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب » .. وشج وجهه الشريف وكسرت رباعيته .

والأمثلة من الحديث كثيرة .. من الحركات الاسلامية .. ومن الدول الاسلامية التى اختلف زعماؤها على الأسلاب بعد أن تحررت .. فصاروا حربا على بعضهم أشد من حرب أعدائهم عليهم .

ومأساة دولة الباكستان .. التى كان ينتظر المسلمون منها خيرا كثيرا . وينظرون اليها .. كأول دولة ليست صغيرة تحكم الاسلام .. لكنها خيبت الظنون ، وأراد لها أعداء الله ذلك ، حتى لا يفكر مفكر فى اقامة دولته على الاسلام .. وشجعوا الآخرين بظلمهم وطغيانهم أن يدفعوا الناس الى تلك العلمانية الآثمة .

وتفككت دولة باكستان ، وتقطعت أوصالها الى دولتين : بدلا من

---

(٩) التوبة : ٧٥ ــ ٧٧ (١٠) التوبة : ٢٥

(١١) آل عمران : ١٥٢ ، ١٥٣

أن تضم اليها كشمير المسلمة ، وبدلا من أن تكون أما لأربعين مليونا من المسلمين تحت حكم عباد البقر من الهنود ومثلهم أو ضعفهم تحت حكم الكفرة الحمر أو الصفر فى الصين .

تقطعت أوصال باكستان المسلمة ، وتقطعت معها نياط القلوب . حزنا وأسى وحسرة .

تقطعت أوصال باكستان المسلمة ، ليكون كل شطر مطمعا سهلا للذئاب المتربصة من حولها .. من الصين ، أو الهند ، أو روسيا !

ويكاد يكون الأسلوب واحدا فى كل الدول التى تجاهد من أجل استقلالها ، تمنح ذلك الاستقلال ، وتوضع معه بذرة الفرقة والاختلاف فيتطاحن الزعماء ، ويفترق معهم الشعب .. وتسود الدولة الأجنبية فى صورة الاستعمار .. الفكرى ، والاقتصادى ، والسياسى !

ترى .. هل ينتبه المجاهدون ؟

* * *

٣ ــ فتنـــة المرأة

المرأة .. ذلك المخلوق .. الوديع .. المدلل .. يبدو لك .. قطا جميلا .. تدلله وتداعبه .. وفجأة يغرس فى اليد التى تداعبه أظافره !

فما بالك .. وقد أطالوا له أظافره .. وحاولوا أن يجعلوا له مع الأظافر أنيابا .. وأخرجوه عن فطرته .. عن وداعته وبراءته .

فتنوه بالحرية ! بعد ما طال ــ ظلما وافتراء ــ حبسه واهانته .. فانطلق من النقيض الى النقيض .. من الافراط الى التفريط .

وأصيب معه رجولات الرجـــال بالمرض .. فانطلقوا كذلك من الافراط الى التفريط ..

حتى لم تعد النخوة ولا الرجولة .. تتحرك فى عروق البعض . وهم يرون زوجاتهم فى أحضان غيرهم ، وهم يعلمون أنه زنا « حكما » وقد يؤدى ــ وكثيرا ما يؤدى ــ الى « الزنا » فعلا !!

تساقطت الرجولات وتهاوت .. وبغت النساء وزأرت .. وانقلب بعضهن الى وحش كاسر .. حين مكن له .. من رقاب العباد[١٢] !

---

(١٢) اشار الى ذلك ملك ايران فى حديث صحفى نشر فى جريدة الأهرام خلال ذى الحجة ١٣٩٥ هـ .

ونحن — مع الاسلام — بعيدا من الافراط والتفريط !

لا نريد للمرأة أن تعود « قطعة من أثاث » أو أسيرة لدى السيد القصور .

ولا نريد لها كذلك أن تفقد أنوثتها ، وتتنكس فطرتها ، وتكلف الأيام ضد طباعها !!

نحن أولى بالمرأة منها ، وأحرص عليها من نفسها .. لأنها جزء منا ونحن جزء منها .

المرأة أمنا .. ونحن بذلك بضع منها ، وبضع غال عزيز ، وهى بهذه المثابة مكرمة أعظم تكريم ، ومقدمة على الأب فى ذلك الاعزاز والتكريم ، موشاة بذلك الوشاح الربانى الكريم « الجنة تحت أقدام الأمهات » .

والمرأة زوجتنا .. ونحن نعرف لها فى مجال الزوجية ما لا يعرفه غيرنا ..

انها بلغة القرآن : « من أنفسنا » بعضا منا : **« هن لباس لكم وأنتم لباس لهن »**(١٣) .

« سكن لنا » وفى السكن كل الاعزاز .. وكل الراحة وكل الدفء وكل الحنان .

وبيننا « مودة » .. والمودة .. وليدة الحب .. والتقدير .

وبيننا « رحمة » رحمة تتقبل العثرات ، وتتغاضى عن الهفوات وتصل ما انقطع ، وتعفو عمن ظلم !

وبلغة الحديث : « خير ما يكنز المرء » .. ثروة : نعم ثروة .. المرأة الصالحة أعظم من أى ثروة مادية يقتنيها الانسان .

« اذا نظر اليها سرته » .. والنظر اليها .. اليها كلها .. وليس فقط الى شكلها وصورتها ، انها تعنى أشمل من ذلك ، وأعمق من ذلك !

« واذا أمرها أطاعته » أطاعته عن حب ، وعن اقتناع ، وفى دائرة المعروف ، لأن الطاعة فى المعروف ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

« واذا غاب عنها حفظته » .. وقد كان الحفظ أمرا طبيعيا يوم كانت الحرة .. حرة : « تموت الحرة ولا تأكل بثديبها » ..

---

(١٣) البقرة : ١٨٧

واليوم صار الحفظ فى زمن الخيانة ثروة .. ثروة .. يغض عليها بالنواجذ ..

ولم يكن غريبا على أن أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم — ورؤيا الرسول عليه الصلاة والسلام صدق لأن الشيطان لا يتلبس به — أن أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشر فريقا من الزوجات صبرن على فراق أزواجهن .. وحفظن أعراضهن ما يقرب من ربع قرن !

تحية لكل مجاهدة كريمة ضربت من المثل .. ما لم يعرفه التاريخ !

تحية لكل مجاهدة كريمة .. وبشرى لها .. من رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ..

لقد أعطاهن لقبا لم يعط الا لزوجاته ..

لقد قال عليـــه الصلاة والسلام : « استحققن أن يكن أمهات المؤمنين » .

تحية اليهن .. وتهنئة لهن .. من كل القلب .. وبكل التقدير !

والمرأة أخيرا أخت لنا أو ابنة .

نقدم الروح فداء لكرامتها ان كان فيها الفداء .. وثمنا لشرفها ورفعتها ان كان فيها الغناء !

من يبغض أخته .. أو يبغض ابنته .. أو يبخسها حقها .. الا أن يكون نذلا حقيرا ..

ماذا فعلن للمرأة .. بل ماذا فعلن بها ؟ ! ..

أخرجنها .. الى الوظيفة .. الى الشارع .

وأخرجنها بعد ذلك ، الى المسرح ، والسينما ، والكباريه ..

تعرض جسدها ، وتبيع لحمها .. بأخس مما يباع به لحم الحيوان !

وقلدت العفيفة الساقطة : فى زيها ، وفى زينتها ، وفى سلوكها ..

ولاكت الألسن سمعة الكثير من الساذجات .. البريئات .. ضحايا التقليد الأعمى .. لكل ما هب .. ودب .

ولو سمعت واحدة من أولئك الساذجات ما يقال عنها بعد أن تخطر فى زينتها ، أو تتكسر فى مشيتها .. لترددت كثيرا .. وكثيرا أن تفعل !

ماذا نريد لها .. أو ماذا يريد الاسلام لها ؟ ..

يريد لها « العفة » .. فهل منهن من يرفض العفة ؟ ..

يريد لهـــا « الطهر » .. فهل منهن من ترغب عن الطهـــور الى « الرجس » ؟ ..

يريد لها « الفطرة » .. فهل منهن من ترغب عن الفطرة الى « الانتكاس » ؟ ..

يريد لها « الكثير » مما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله ..
لكننا .. لا نريدها .. رجلا .. والا لاختل الكون ..
ان فى الكهرباء .. الموجب والسالب .
وفى المغناطيس .. الموجب والسالب .
وفى الذرة .. الموجب والسالب .
وهكذا شاء الله لهذا الكون .. جعل من كل شىء زوجين ..

ليتم بينهما التكامل .. ولتلتحم الدائرة .. وتؤدى بالتالى وظيفتهما وتبلغ غايتها ..

كذلك لا نريدها .. سلعة ..
تعرض كما تعرض السلع .. وتباع كما يباع السقط ..
ووضع المرأة اليوم فى المراقص والنوادى الليلية .. سلعة ..
ووضعها فى المتاجر .. على النحو الحالى .. سلعة .
ووضعها فى المطاعم وفى المقاهى .. سلعة .

بل ان تركها .. فى الشوارع على النحو الحالى .. يجعلها سلعة .. سلعة .. بغير ثمن !

نحن — والاسلام من أمامنا ومن خلفنا — نريدها .. كما أرادها الله بالفطرة التى فطرها الله عليها .

نريدها مكلفة بالواجبات ، متمتعة بالحقوق ، مخاطبة بحكم الشارع فى أكثر الأحكام : « **فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ، بعضكم من بعض ، فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار** »(١٤) .

نريدها ربة بيت وأستاذة جيل ..

لأنه اذا خلا البيت منها .. فمن يربى ذلك الجيل .. أنتركه للخادمات .. ومن فى مستواهن .. ليستقى منهن أخلاقهن ، وطباعهن ، وسلوكهن ..

---

(١٤) آل عمران : ١٩٥

فان كانت الخادمة كاذبة ــ وأكثرهن كذلك ــ فالجيل من الكاذبين وان كانت غاشة ــ وكثير منهن كذلك ــ فالجيل من الغاشين ، وان كانت خائنة ــ وبعضهن كذلك ــ فالجيل من الخائنين ، ولعنة الله على الظالمين !

ومهمة المرأة فى البيت كمربية لأولادها .. ليست مهمة سهلة .. انها تحمل رسالة الأنبياء .. ولها باذن الله ــ ان أحسنت الأداء ــ أجر الشهداء .. أو يزيد !

ثم نريدها زوجة ..

ودعنا نصارح بنات الجيل الجديد ..

لقد فشلت أكثرهن .. أن تكون زوجة .. رغم ما تحمل من شهادات ..

وفشلت فلسفة « اختبار » الزوج قبل الزواج ، والتعرف على شخصيته وطباعه عن طـريق الفتـاة .. بلقاءات الشواطىء والنوادى والشوارع !

فشلت .. وبلا مبالغة .. أكثر الزيجات ، اما تصدعت أو تعانى الصدع والصداع !

فشلت دارسات علم النفس .. والباحثات فى العواطف والغرائز ..

فشلن فى أن يكن زوجات .. يحس عندهن الرجل .. بما كان يحس به رجل الأمس عند زوجته .. وان لم تكن على نفس المستوى من زوجة اليوم علما ولا ثقافة ..

فشلن .. ولا يمارين فى أنهن فشلن ..

وأصبح زوج اليوم .. متزوجا من الثلاجة .. عند الطعام ، ومن التليفزيون فى المساء .. ومن الوسادة أو الحشية عند النوم ..

فقد سعادته .. وفقدت هى كذلك سعادتها ..

ونحن نريد السعادة .. ونريدها كذلك .. لها !!

نريدها زوجة .. تعرف واجبها فتؤديه قبل أن تطالب بحقها ..

وما من زوجة تؤدى واجبها .. الا وهى تجبر زوجها على احترامها .

أما مشاكلها .. التى لاكت فيها ألسن الجاهلين والجاهلات .. هذه المشاكل .. حلها .. فى الاسلام .. الاسلام الذى جعلوه وراء ظهورهم ..

يتحدثون عن الطلاق .. ويقولون ان الرجال قد تتايعوا فيه .. ومن ثم فلا سبيل لانضباطه الا بتقييده باذن القاضى ، يريدون ذلك ..

فى مصر .. وفى بعض البلاد الاسلامية الأخرى ، وفعلوها فعلا .. فى بعض البلاد ..

ونقول لهم .. وقد خبرنا المحاكم وبلوناها : هل نهضت المحاكم بالعبء الثقيل من ملايين القضايا .. حتى نضيف اليها عبئا جديدا .

ثم .. من يرضى .. بكرامته .. أبا أو أخا .. ومن ترضى معه من الزوجات الكريمات .. أن يعرض الغسيل « الداخلى » على أحبال المحاكم .. وبه ما به من الأسرار والآثار ؟

ثم اذا رغب الزوج فى الطلاق .. وأوقعه .. وقع الأمر الى القاضى ولم يقتنع بأسباب الطلاق .. فلم يوقع الطلاق ..

فما هو وضع المرأة .. هل تعد طالقا أو لا تعد طالقا ؟

هى باجماع آراء الفقهاء .. طالق شرعا . فما هو رأى القانون ؟ ..

ثم ما هو وضع الرجل معها ؟ .. هل يكرهه القاضى .. أو القانون على عشرتها بعد طلاقها ؟ .. أم يلزمه .. أن يعيش معها .. كل فى غرفة .. مع الانفصال « الجسمانى » بينهما ؟ ..

يا قوم .. أنتم أعلم أم الله ؟ !

لكن ذلك لا يمنع أن نقول : ان ما يجرى اليوم من طلاق من كثير من الرجال ليس عدلا .. ولا حقا ولا تقره شريعة الله ..

ان الله جعل الطلاق أبغض الحلال اليه ..

وجعله بمثابة البتر بالنسبة للمرض المستعصى .. فلا يكون فى كل مرض ولا فى كل وقت ..

وجعلـه بذلك رحمة للطرفين ان استحالت الحيـاة بينهمـا : **« وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته ، وكان الله واسعا حكيما »**(١٥) .

وفى الوقت الذى يرغبون فيه فى تقييد الطلاق فى شرقنا الاسلامى نجد روما الكاثوليكية تبيح الطلاق .. لكثرة ما عانوا ..

وللطلاق أحكام وآداب عرضت لها كتب الفقه الاسلامى .

من بينها .. أنه لا يكون الا بعد مراحل .. آخرها أن يبعث حكما من أهله وحكما من أهلها ..

ومن بينها أن يكون .. فى طهر .. لم يمسها فيه ، ولا فى الطهر الذى قبله .. وبذلك يبقى الزوج متريثا .. طهرا وحيضا وطهرا ..

---

(١٥) النساء : ١٣٠

ولا شك أنها مدة كافية للرجوع الى ما هو أفضل والانابة الى ما هو أزكى .

ومن بينها أن يكون رجعيا (لا بائنا) .

وفى الطلاق الرجعى .. تبقى المطلقة مدة العدة فى بيت زوجها لا كما يحدث هـذه الأيام ، اذ تنتقل ، من قبل الطلاق الى بيت أبيها وفى بقائها .. هذه المدة .. مع بعدهما .. ما يولد الشوق والحنين .. ومن ثم فانه له أن يراجعها فى مدة العدة . بالقول بأن يقول : راجعتك . أو بالفعل بأن يمسها ويجامعها !

وهذه الأحكام .. والآداب .. وغيرها .. تضع « غرامل » على ارادة الطلاق .. وتفتح الفرصة للتفكير قبل وقوعه ، وللاصلاح بعد وقوعه .

ويتكرر الطلاق مرة ومرة .. فاذا كانت الثالثة .. فليس له أن يراجعها الا اذا تزوجت زوجا غيره (لا مجرد محلل) ، ودخل بها وعاش معها .. ثم طلقها من تلقاء نفسه — (لا باتفاق مع الزوج ولا بطلب منه) .

ولا شك أنه درس قاس .. حين يجد زوجته مع رجل آخر ..

وكم من الأزواج لقنوا هـذا الدرس ، وكم من الزوجات لاقت مع غير زوجها ما جعلها تندم على عدم الاحتفاظ برجلها الأول ..

وهـذا صنع اللطيف الخبير .. العليم بخبايا النفس وبما تخفى الصدور ..

أفنترك هـذا النظام الربانى الحكيم .. لنبحث عن الحلول .. عند تلك التافهة أو ذلك التافه .. ممن أعلنوا الخروج على شريعة الله ، أو خافوا أن يعلنوا فأخفوا فى أنفسهم ما الله مبديه ؟

ويتحدثون عن « تعدد الزوجات » .. ويجتهد رئيس فى احدى الدول الاسلامية — ليست له بالطبع أهلية الاجتهاد — ويفسر فى كتاب الله برأيه وهواه ، ويحرم فى بلده تعدد الزوجات ويفرض عقوبة على الزوج الذى يضبط متلبسا بجريمة « التعدد » ..

ويضبط زوج مع زوجته الثانية .. ويحرر له محضر .. ويقدم للمحاكمة ، فيدافع عن نفسه بأن هـذه الزوجة لم تكن زوجة ولكنها كانت « خليلة » و « عشيقة » .. يمارس معها الهوى الحرام .. فتحكم محكمة الرئيس ببراءته ..

وهكذا يحرمون ما أحل الله .

وهكذا يصير المعروف منكرا ، والمنكر معروفا ..

وهكذا .. يشرع من الدين ما لم يأذن به الله ..

وتعدد الزوجات ليس مشكلة ..

أولا .. لأنه يكاد أن يكون قد انقرض .. فالشاب لا يستطيع اليوم أن يفتح بيتا .. فمن الذى يستطيع أن يفتح بيتين ؟

وثانيـــا .. لأنه اذا كانت المرأة غير راضية عن التعدد .. فما عليها الا أن ترفض أن تكون زوجة ثانية .. عندئذ .. لن يوجد تعدد !!

وثالثا .. لأن المشكلة حسابيا محلولة ..

فاذا كان عدد النساء مساويا لعدد الرجال .. فانه لا مشكلة .. لأن كل رجل سوف يتزوج امرأة .

واذا كان عدد النساء أقل من عدد الرجال .. فانه لا مشكلة كذلك — لأن كل رجل سوف يتزوج امرأة ويبقى عدد من الرجال لا يجد امرأة .

أما الفرض الثالث .. فهو أن يكون عدد النساء أكثر من عدد الرجال .

فأيها أفضل : أن يتزوج الرجل أكثر من امرأة أو أن تبقى بعض النساء « عوانس » بغير زواج .

وأيها أفضل للمرأة .. أن تبقى بغير زواج أو أن تشارك أخرى فى رجل .

وأيها أفضل .. تعدد « الخليلات » و « العشيقات » .. أم تعدد « الزوجات » ؟ أجيبوا .. يا أولى الألباب .

وفى الحالتين .. وفى غيرهما ..

فان الحل الأول .. هو العودة الى خلق الاسلام .. والى تقوى الله .

فالرجل ذو الخلق لا يطلق بغير سبب ، ولا يعدد بغير مقتض .. والرجل التقى لا يظلم ..

وصدق رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : « اذا أحبها أكرمها .. وان كرهها لم يظلمها » .

* * *